قصائد تكريم خليل مطران

في الميزان

للأستاذ علي متولي صلاح

— ٢ —

وكانت ثانية القصائد التي أُلقيت في تكريم مطران قصيدة الأستاذ عبد الرازق محيي الدين المفتش بوزارة المعارف العراقية وكانت قصيدته — في الحق — غاية في الإشراق والبهاء والنصاعة، وكانت الموسيقى، وكان الجرس العذب الشجي شائعين في جميع أجزائها ...

وكانت « الحضارة » واضحة جلية فيها، ولعل أصدق وصف يوصف به هذا الشاعر أنه الشاعر « المتحضر » ! واعتقادي أن لحياته الخاصة، ولماضي أيامه، ونظام عيشه، دخلا كبيراً في ارتقاء شعره وأخذه هذا السمت الرفيع وإن لم أنل شرف التعرف إليه.

وقصيدته في جملتها قطعة موسيقية متناسقة متسقة لا ترى بها نشوزاً ولا تحس فيها انحرافاً عن النهج الموسيقي القويم، وهي تُغريك بقراءتها إغراء قوياً ملحاً، وتأخذ بك إلى غايتها دون توقف أو تمهل أو تراخ، فليس لك عن تمامها معدىً أو منصرف ...

ولقد استطاع أن يضفي عليها جواً شعرياً صافياً نقياً متطهراً، وكان له فيها — إلى ذلك — معان رائقة طريفة ما أحسب الكثير من شعرائنا المعاصرين يأتون بمثلها وتتفتح لهم مغاليقها إلا من عصم الله !

وقد وصف فيها « الشاعر » الشاعر لذاته مطلقاً أروع وأجل وصف، فبيّن خصائصه التي يجب أن تكون، وميزاته التي يجب أن تتوافر، وأوضح طريقه الذي يجب أن ينهج، وفلكه الذي ينبغي أن يدور فيه انظره يقول عن الشاعر إنه :

آلة مسحورة تحيا متى ... فنيت بالشيء روحاً وخلالا
ضلّت الألباب عن إدراكه ... ومضت تخطب رشداً وضلالا

وانظر قوله عنه ممثلا في شخص مطران :

القوافي البيض ما زلت لها ... فاتناً ... تُوليك حباً ووصالا
والمعاني العصم ما زلت بها ... أكثر الناس اقتناصاً واعتقالا
تتحدى السرب في شاهقة ... وتعاف السهل للناس مجالا ...

وانظره يقول عنه هذا البيت الطريف الرائع البديع :

مصلح في غير دعوى مصلح ... ونبيّ لم يكلّفنا امتثالا ... !

ولعل من كمال الجو الموسيقي الذي أحاط بالقصيدة من كافة جوانبها أن اختارها الشاعر من هذا البحر الغنائي الرقص « الرمل » ...

وهو وإن يكن قد اضطر في القليل جداً من أبياته إلى ضرورات كنا نود لو تنزّه عنها مثل قوله :

جئت والنهضة فينا طفلة ... بعدُ ... لم تبلغ فطاماً أو فصالا.

والفطام والفصال بمعنى، ومثل قوله يصف الشاعر « وعاذا تتحامى شره ؟ » . فإن هذه العبارة فوق مجافاتها للغة الشعر وللغة هذه القصيدة خاصة، فإن الشاعر ملاك رحيم، وليس بالشيطان الرجيم ! وليس وراء الشعراء هذا الشرّ المستطير، وهذا الويل الكبير الذي ينهيّبه الناس ويتّقونه ويلتمسون الوسائل للنجاة منه ! وصدق الذي قال : « أنتم الناس أيها الشعراء » . إلا أن

فيقرؤها القارئ ويعجب بها لأنها تعبير صادق عن شعور صادق، ويقرؤها الوالد غير الشاعر فيرتاح لها ويجد بين أبياتها التنفّس الذي أعياه البحث عنه ليفرج فيه عن أحاسيس طال عليها الكظم.

وهكذا الشعراء في كل أمة وفي كل عصر يحملون عن قومهم ما لا يطيقه القوم، ويذيعون ما لا يذيعه غيرهم فتجري على ألسنة أقلامهم أرسال العواطف. فهلا سمحتم بأن يقولوا ما دام في قولهم راحة لغير الشعراء !

قال صاحبي وقد بدت عليه علائم الاقتناع :

— إذن فالثناء لا نقبله من والد لابنه مادام الوالد غير شاعر؛ أما الوالدون والمحبون الشاعرون فنقبل منهم.

قال الشيخ :

— هو ما قلت، نقبل منهم.

بروت أباظة

٢٨٠٣١

هذه هَنَاتٌ هيّنات جداً لا تضيره فى شىء ، ولا تنقص قليلا من قصيدته الرائعة التى نباركها عليه ، ونشدُّ على يديه مهنئين طالبين ألا يسكت — ما وسعه الجهد وواتته الظروف — عن الإنشاد ، وألا يسلم إلى الصمت القيادْ ، وسبحان من له الكمال وحده ...

وكانت ثالثة القصائد لشاعرنا الأستاذ محمد الأسمر ، وقد وجدتُ شيئاً بنفسى يرجع بى وأنا أقرؤها إلى الوراء لم أتبيّنه للوهلة الأولى ، غير أنه أخذ يدفعنى دفعاً قوياً شديداً إلى الوراء كلما أمعنتُ فى قراءتها حتى وجدتُنى أردِّد معلّقة عنترة العبسى :

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهم ؟؟

ولكننى ما كدت أهتدى إلى هذه المعلقة حتى أوغلت فى قراءتها وتركت قصيدة الأسمر؛ ومن وجد البحر استقلّ السواقيا!

أراد الأسمر أن يقلّد القدامى ، فنظر وأطال النظر فى هذه المعلقة ، ووقف وأطال الوقوف عندها ، علّه يقول كلاماً فيه منها مشابه وملامح ، ولكنه عاد من النظر والوقوف بظلٍّ باهت ، وصدى خافت

على أن ألفاظه كانت بعيدة عن جرْس الشعر وماينبغى له من تخيّرو انتقاء واصطفاء ، وهل من الشعر قوله :

قدّمتهم نحو العلا فتقدّموا والفضل فضل مقدّم المتقدم !

وهل من الشعر كذلك قوله .

هذا ... وكم لك من شمائل حرة هى «فى الحقيقة» روضة المتوسّم

أو قوله :

من شاعر يثنى عليك وناثر هو شاعر أيضاً وإن لم ينظم

أو قوله :

صورت جنة ظالم وجحيمه حتى الفناء وآهة المتألم

ولا أدرى ولا النجم يدرى كيف يكون التصوير إن خلا من آهة المتألم وغناء النشوان وهما أدنى ما ينبغى أن يقال !

وفى مقالنا القادم إن شاء الله سنتناول القصائد الباقية وهى لشبلى ملاط وعبد الغنى حسن وللمحتفل به .

(المنصورة) **على متولى صلاح**

(الرسالة) للأستاذ الكاتب رأيه فى شعر الاستاذ الأسمر ، والرسالة لا توافقه فى جملة ما يرى .

فى الخضم . . .

للأستاذ الموضى الوكيل

طال ليلى ، وغام أفق صباحى هل لديكم من بلسم لجراحى

يا مدير الأقداح ما بالك اليو م تدير الهموم فى الأقداح

أنا فى سطوة الخمار ، وما أح سب أنى منها مدى الدهر صاحِ

وكأن السنين أشباحُ ليلٍ ملأته قوافلُ الأشباحِ

وكأن المنون غفوة غافٍ وكأن الحياة صحوةُ صاحِ

طرقت راحةُ الزمان على قل بى كطرق المستعجل اللحاحِ

يا صديقى لا تلحنى حين أبكى فبكائى رأيته كصداحى

رب لاح من الصحاب حكيم خير الأمر فاقتدى غير لاحِ

رب دمع أبيحه فى قوافٍّ ودمع فى القلب غير مُباحِ

وأنا اليوم أعزل يدفع الدهر ر بكف والدهر شاكى السلاحِ

رحمـــــة ! . .

للآنسة الفاضلة دنانير

يا أيها الروح الغريب الحانى يا مؤنسى فى وحشة المكان

ومنقذى من قسوة الزمان ألهب شعورى واسر فى جنانى

عاطفة قدســـية النيران

نجيتنى من مجهل سحيق ســـد على ثلجه طريق

ذر الهوى يبعث بالحريق ويشعل الدماء فى عروق

فرعدة القرور فى كيانى

ما زلت تحت وطأة الأعوام أخبط فى تيـــه وفى ظلام

حتى تنزلت على أيامى روحاً من الضياء والسلام

يهدى إلى شواطىء الأمان

يا رحمـــة من رحمات ربى هل نار سيناء أضاءت دربى

أم قبس ألقيتـــه فى قلبى فأشرق الكون بنور الحب

وفاض بالعطف وبالحنان

لما تسمعت حنون شدوى يقطر دمعاً من أسى وشجوِ

حنت ، وانطلقت تهفو نحوى تهتف : يا أختاه ، أنت صنوى

نحن بخد الدهر دمعتان !.

نحن بخد الدهر دمعتان من أدمع الأشواق والأشجان

إن يكن المزار غير دان فقد تلاقى فى الهوى القلبان

وائتلفت على النوى الروحان

وانساب إشعاعك من بعيد على بقايا هيكلى الجهود

فاخضر من بعد الذبول عودى واهتز للحياة من جديد

قدست يا محى الرميم الفانى